تعليم اللغة العربية في باكستان

(مشكلات وحلول)

أ. د. خالق داد ملک☆

Arabic is our religious language. We do learn it to perform our religious duties and rituals. Though it is no more alien to us, yet our indifference towards it sustains till now. Partly, because this language belongs to Semitic group of languages and our is of Indo-Aryan origin, and partly governments' negligence. This article sheds light on the current status of Arabic language in Pakistan, its teaching, hurdles and remedies.

للمسلمين لغات متعددة تبعاً لتعدد شعوبهم واختلاف أقاليمهم. ومن أهم الوسائل التي تُقرب بينهم و تجعلهم متفاهمين متعاونين كما يوجبه عليهم دينهم الحنيف أن يكون لهم بجانب هذه اللغات المتعددة لغة مشتركة بين جميع شعوبهم من أقصى المغرب إلى بلاد الصين. ولا يمكن أن تكون للمسلمين لغة مشتركة غير اللغة العربية فإنها هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وجاءت بها سنّة الرسول ﷺ، ودوّنت بها مؤلفات العلماء المسلمين في شتى النواحي الإسلامية والعقلية منذ ظهور الإسلام إلى عصرنا هذا. و فوق ذلک هي لغة العبادة، فالمسلمون على اختلاف لغاتهم يصلون بلغة القرآن الكريم ويتعبدون بلغة القرآن الكريم، فوجب على كل مسلم مكلف أن يتعلم من اللغة العربية القدر

☆ رئيس القسم العربى، الكلية الشرقية، جامعة بنجاب، لاهور

الـذي يـؤدّي بـه صلواته . بل قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في رسالته:" فعلى كـل مسـلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله و أن مـحـمـداً عبـده و رسـولـه، ويتلو بـه كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، و أمر به من التسبيح و التشهد وغير ذلك.،، (١)

إن الـلـغة العربية هي من أعرق اللغات ذات التاريخ الإنساني و الحضاري. فهـي حـارسة التـراث الإسلامي وصانعة الحضارة الإنسانية عبر الأجيال و القرون. ولـقـد أدت الـلـغة الـعـربية دوراً خطيراً في المركز الحضاري الذي بلغه العالم عن طـريق القنوات التي كانت تصل العالم العربي بالشرق والغرب، عن طريق المحيط الهـنـدي وفـارس ومـا جـاورها شرقاً ، وعن طريق منا فذ البحر الأبيض العديدة إلى أوربـا. وقـد عـاشـت الـلغة العربية في تطوّر مستمر و دخل إلى منطوقها الكثير من الألفاظ الأردية والفارسية واليونانية. وفي القرون الوسطى كانت المؤلفات العربية فـي الـفـلـسـفة والـطـب والـعلوم الرياضية والفلكية وغيرها تعتبر مراجع و مصادر أسـاسية لـلأروبيين. كـما كانت اللغة العربية أداة التفكير و نشر الثقافة في أسبانيا حيـث أشـرقـت مـنهـا الحضارة إلى أوربا وعملت على تبديد ظلماتها و دفعتها إلى التطوّر والنهوض.

وكـمـا كـانـت الـلـغة الـعـربية فـي الـماضي البعيد لغة الغالب المتحضّر، صاحب الدين والرأي والسيادة ، فقد أخذت في الحاضر تحتل مكاناً مرموقاً يسعى إليه كل دارس، ويتودّد إليه كل ساع إلى الدين أو العلم ، أو الباحث عن كنوزها من الـفـكـر والثقافة والفن. وربما لا يشهد العالم العربي والإسلام في وقت قريب جداً عـملاً أضـخـم وأكبـر أهـمية مـن تـعـليـم اللغة العربية لغير أبنائها من المسلمين أو غيرهم على حدّ سواء.

وقـد أصبـحـت لـلـغة الـعـربية اليوم شخصية متميزة وكيان واضح حيث

صارت من اللغات الرسمية في كثير من الهيئآت الدولية والوكالات التابعة لهيئة الأمم المتحدة. وتعتبر اللغة العربية اليوم رابع لغة قومية في العالم في ضخامة عدد المتحدثين بها، و تأتي في المنزلة والترتيب بعد اللغة الصينية والإنجليزية والأسبانية(٢).

ولكن غالب الاهتمام اليوم منصب على اللغة الإنجليزية. وقد امتدّ نفوذها إلى جميع مناطق نفوذ الاستعمار البريطاني. فقد نشرها في البلاد التي حكمها وشجع اللغات المحلية لتزاحم اللغة العربية و تحلّ محلها وتقضي عليها. وكانت النتيجة أن الأردية مثلاً احتلّت مكان العربية في الحياة الثقافية بينما لم تنافس أو تزحزح اللغة الإنجليزية من مكانها حتى الآن.

وكان من آثار الاستعمار البريطاني أن اللغة الإنجليزية فُرضت في الإدارة والأعمال الرسمية والمدارس العصرية وامتحانات المنافسة للوظائف المركزية والإقليمية الإدارية. ومن أجل تعلّم هذه اللغة اضطرّ الطلاّب الباكستانيون إلى الدخول في المدارس الإنجليزية و تركوا تعليم اللغة العربية و بخلوا على القرآن الكريم بالوقت الذي كانت تبذله الأجيال السابقة في استظهاره و استيعابه.

ولا يكفي أن نتهم الاستعمار وحده في هذه البلاد لأننا مازلنا ولا نزال بعد الاستقلال أيضاً نرجّح اللغة الإنجليزية و أن الجهود والمساعي التي بذلت ولا تزال تبذل في تعليم اللغة العربية للطلاب الباكستانيين ضيقة ضئيلة لاتتناسب مع الجهود الكبيرة المبذولة في تعليم الإنجليزية لهم بل ولا تتناسب مع الجهود التي تبذلها بعض الدول الأروبية والغربية في تعليم اللغة العربية بغض النظر عن الأهداف والمرامي و راء ذلك. فنرى مثلاً أن تعليم اللغة العربية في أمريكا بدأ منذ وقت مبكر لسدّ احتياجاتها السياسية والثقافية، واتسعت فيها المراكز والمعاهد لتعليم العربية كما أنشأت الدول الأروبية معاهد للعربية كذلك، وعلى

رأسها مدرسة الدراسات الشرقية. والأفريقية (SOAS) و جامعة كمبردج وآكسفورد وايدمبرا والسور بون بفرنسا وبرلين بألمانيا و روما والبندقية وصقلية بإيطاليا وجامعات أخرى في سويسرا وهولندا.

وكذلك فإننا نرى أن الدول العربية والإسلامية تقوم بخدمة اللغة العربية والنهوض بها و تخطط لذلك بين فينة وأخرى من المشروعات والبرامج ولكننا نحن في باكستان قد قصّرنا في حق اللغة العربية تقصيراً كبيراً حتى أن مستواها قد ضعف مما كان عليه قبل إنشاء باكستان واستقلالها، ولم تعد لها المكانة التي كانت تحتلها في المقررات الدراسية خلال عصر الاستعمار البغيض.

و نود أن نشير إلى نقطة مهمة جداً وهي أنه لايوجد في باكستان التنسيق الشامل بين تعليم اللغة العربية في الكليات و بين تعليمها في الجامعات، وذلك لأن إدارة الكليات تختلف تماماً عن إدارة الجامعات ، فالطلاب الذين يدرسون اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس ينقسمون إلى قسمين: قسم منهم يدرس اللغة العربية كمادة اختيارية ومساعدة له ،وتكون مواده الأساسية هي العلوم السياسية ، علم الاقتصاد ، الفلسفة، التاريخ ، اللغة الأردية ،اللغة الفارسية وغيرها، فيكفي لهذا القسم في هذه المرحلة أن يعرف قراء ة النصوص العربية المتصلة بمواده و ترجمتها إلى اللغة الأردية فقط. والقسم الثاني الذي تكون اللغة العربية هي المادة الأساسية له، فهو يريد أن يكمل دراساته العالية من الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية، إذن من المفروض أنه ، حين ينتهي من دراسة البكالوريوس أن يكون متمكناً من قراءة النصوص العربية الحديثة بجميع أقسامها، وتكون مرحلة الماجستير هي التوسع في الدراسة والتمرن في كتابة الأبحاث والمقالات والتعريف على الاتجاهات والنزعات في اللغة والأدب، ولا يمكن هذا إن لم يكن الطالب قد أتقن اللغة العربية في مرحلة البكالوريوس و عرف قيمة النصوص، وإلا

فإنه يجابه مشكلة كبيرة في مرحلة الماجستير؛ لأن المواد التي يدرسها في هذه المرحلة كثيرة و متنوعة، وتكون جديدة ومعقدة بالنسبة له، فهو في هذه المرحلة يدرس النقد الأدبي و تاريخ النقد، كما يدرس البلاغة والعروض و تطور اللغة في الأدوار المختلفة ، ويدرس النصوص العربية القديمة شعراً و نثراً، التي تحتاج إلى حنكة وخبرة و مهارة لفهمها و دراستها كالنصوص التي يقرأها من كتاب الكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ ، والشعر والشعراء و أدب الكاتب لابن قتيبة، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، والأمالي لأبي علي القالي.

ولا شك أن هذه المواد كلها ذات قيمة علمية أدبية كبيرة، ولكن ماذا يستفيد بها الطالب وهو لا يعرف مبادئ اللغة العربية، ولا يفهم النصوص، لذلك يبقى في حيرة و يتخبط خبط عشواء. فعادة الأساتذة في أكثر الجامعات الباكستانية يدرسون هذه النصوص ويشرحونها لطلاب الماجستير كما يشرح النصوص للطلاب الصغار في المدارس الثانوية أدنى مرحلة البكالوريوس. ولذلك نرى أنه لابد من التنسيق الشامل بين مرحلة البكالوريوس و مرحلة الماجستير في الجامعات الباكستانية. و ينبغي تركيز الجهود لوضع المناهج في مرحلة البكالوريوس؛ لأن الطالب يتزود من هذه المرحلة، و يجهز نفسه للمراحل القادمة، وأن هذه المرحلة هي نقطة انطلاق كما هي مفترق طرق.

وكذلك ينبغي أن تكون مرحلة تدريس النقد الأدبي والبلاغة والفصاحة والعروض والقوافي والفنون الأخرى بعد أن يتقن الطلاب اللغة العربية أولاً؛ لأن فكرة النقد الأدبي والملكة البلاغية والمهارة العروضية تأتي بعد تفهم الطلاب للغة العربية، ولعمري ماذا يستفيد الطالب بقراءة المختصر والمطول للتفتازاني ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والكافي في العروض والقوافي للخفاجي و أدب الكاتب لابن قتيبة، والأمالي لأبي على القالي، والنقد الأدبي لأحمد أمين،

وأصول النقد العربي لأحمد الشائب، وهو لا يقدر أن يقيم جملة من هذه الكتب العلمية والفنية؟!

و نقول بصراحة ولا يخفى على أحد أن أغلب الطلاب في الجامعات الباكستانية، وحتى بعض الأساتذة في حالات خاصة، قاصرون من التذوق العربي الصحيح، وبعيدون عن التحلي بالقدرة الكاملة على تفهم اللغة العربية، بل إن أكثر الطلاب عاجزون عن قراءة الكتب العربية قراءة صحيحة، إذن فكيف يمكن لهم أن يتوصلوا إلى تذوق النقد الأدبي في اللغة العربية؟ وكيف يمكن لهم أن يتمكنوا من التلذذ ببلاغة وفصاحة اللغة العربية و آدابها؟ فهم لايدركون فحوى الموضوع كما لا يدركون روح الفن من قريب أو بعيد. وقد ذكر الدكتور مير ولي خان مستوى الطلاب الجامعيين العلمي ناقداً وقائلاً:

" لا ترضى أية جامعة في العالم العربي الحاضر بأن تمنح شهادة عالية في اللغة العربية إلى طالب لايستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية أو يكتب فيها مقالة أو طلباً أو رسالة بسيطة، ولكن مع الأسف الشديد نجد أن الطالب في الجامعات الباكستانية لايقدر على أن ينطق نطقاً صحيحاً حتى بجملة واحدة، بل إنه لا يستطيع أن يكتب طلباً بسيطاً باللغة العربية، ومع كل هذا ، فإنه ينجح في اللغة العربية، بل يفوز بدرجة جيدة في هذه اللغة، وهذه ممارسة غير صحيحة في الجامعات الباكستانية، بل هو أمر يؤسف له؛ لأن هذا العمل لا يُساعد قطعاً الطالب، وإنما يعرقل تطوير اللغة العربية في باكستان.."(٣)

وندرك مما تقدم أن أكثر الطلاب المتقدمين للقبول في أقسام اللغة العربية في الجامعات الباكستانية يكون مستواهم اللغوي و العلمي ضعيفاً ورديئًا، والسبب في ذلك أن أغلبيتهم لا يتمتعون بخلفية ثقافية في العربية و آدابها، وبمجرد نيل شهادة البكالوريوس في الآداب بمادة اللغة العربية ذات مئتي درجة

يستحق الطالب للقبول في درجة الماجستير باللغة العربية في جميع الجامعات الباكستانية، ويقضي فيها مدة عامين في الدراسة، فينال بعد ذلك شهادة الماجستير في العربية، فالطالب الذي لم يقم بدراسة اللغة العربية طول حياته الدراسية إلا بمدة حوالي عامين فقط، كيف نتوقع منه أن يصبح من أصحاب الكفاءات فيها!

والجدير بالذكر هنا أن هناك طلاباً منتسبين غير الطلاب النظاميين، وهم ليسوا بقليلين، لا يدرسون اللغة العربية لمدة عامين، كما يدرس فيها الطلاب النظاميون في الجامعات، بل يقومون بدراستها في منازلهم معتمدين في ذلك على جهودهم الشخصية بشكل عام، غير أن لديهم حق المشاركة كذلك في امتحانات جميع جامعات البلاد كطلاب منتسبين، ومن هؤلاء من لايدرس إلا في الفترة المتأخرة جداً والقريبة من الامتحانات، ويقوم بتحضير الامتحانات بمساعدة مدوناتهم و مذكراتهم الموجزة و خلاصات و كتيبات تجارية أخرى.

وكذلك نرى من المناسب أن نذكر أن كتابة البحث العلمي تعتبر جزءاً أساسياً من متطلبات الدراسات العليا في هيكل التعليم الجامعي الدولي، وبعبارة أخرى أن البحث والتحقيق هما من أهم مسوغات بناء الجامعات و مبرراته، انطلاقاً من هذا المبدأ العلمي تشتمل دراسة البكالوريوس في جامعات العالم على مدة أربعة أعوام جامعية، وطبعاً تأتي مرحلة البكالوريوس بعد إكمال اثنتي عشرة سنة في المرحلة المدرسية وبعد إكمال البكالوريوس تستمر دراسات عليا نظامية لمدة عامين، وأحيانا ثلاثة أعوام بحسب الظروف. وذلك للحصول على شهادة الماجستير، ومن المعلوم أن تحضير البحوث والتقارير المتعلقة بجميع المواد الدراسية في مرحلة البكالوريوس وكتابة الرسالة في مرحلة الماجستير يعتبران من الأمور الدراسية الإجبارية في النظام التعليمي الدولي في الجامعات، غير أن كلاً من البكالوريوس والماجستير في الجامعات الباكستانية تستغرق دراسته مدة عامين

فقط و بدون تحضير بحث في درجة البكالوريوس مطلقاً وبدون تحضيره إجبارياً في الماجستير، بل يمكن المشاركة لمن يرغب في امتحانات البكالوريوس والماجستير من الخارج كطالب منتسب بدون الحضور في الدروس الجامعية النظامية.

أما مناهج المدارس الدينية فكانت قد وُضعت منذ أكثر من ثلاثة قرون، وحتى الآن لم يحدث فيها أي تغيير، وهذه المناهج الدراسية تعرف باسم " الدرس النظامي،، نسبة إلى عالم ظهر في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، عُرف باسم الملا نظام الدين. ولاقى هذا المنهج الدراسي رواجاً عظيماً في جميع المدارس الدينية. وكان يحوي إحدى عشرة مادة مع كتب تختص بكل مادة ، ثم بعد مضي فترة من الزمن أضيفت إليه مواد أخرى، فقد تجاوز عدد المواد خمس عشرة مادة على النحو التالي:

١- الصرف: كتاب ميزان و منشعب ، صرف مير ، پنج گنج، زبدة ، فصول أكبري، الشافية لابن الحاجب.

٢- النحو: نحو مير ، شرح مئة عامل ، هداية النحو ، الكافية ، شرح الجامي على الكافية.

٣- المنطق: صغرى، كبرى ، ايساغوجي ، تهذيب ، شرح تهذيب ، قطبي مير، مرقاة، سلم الأصول.

٤- الحكمة والفلسفة: ميبذي، صدره ، شمس بازغة

٥- الرياضي (الحساب): خلاصة الحساب، تحرير أقليدس، تشريح الأفلاك.

٦- البلاغة: مختصر المعاني، المطول.

٧- الفقه: منية المصلي، نور الإيضاح، القدوري، شرح الوقاية، كنز الدقائق، الهداية.

٨- أصول الفقه: أصول الشاشي، نور الأنوار، توضيح التلويح، مسلم الثبوت.

٩- علم الكلام: شرح عقائد النسفي، شرح عقائد الجلالي، مير زاهد، شرح المواقف.

١٠- علم التفسير: الجلالين، البيضاوي

١١- علم الحديث: مشكاة المصابيح، الصحاح الستة.

١٢- أصول الحديث: رسالة الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي

١٣- الفرائض: شريفية ، السراجى

١٤- علم المناظرة: الشريفية في فن المناظرة.

١٥- الأدب العربي: نفحة اليمن ، المعلقات السبع ، ديوان الحماسة لأبي تمام ، ديوان المتنبي، مقامات الحريرى.

و يعتبر هذا المنهج اللغة الفارسية في المراحل الابتدائية والثانوية من التعليم مادة لها أهمية قصوى، ويؤكد على دراستها، و أما منهج مادة الفارسية فهو كمايلي:

١- النثر الفارسي: نسخة تعليمية، تعليم عزيزي، دستور الصبيان، إنشاء فائق، رقعات عالمگيري، گلستان سعدي، مكتوبات أبي الفضل، بهار دانش ، أنوار سهيلى.

٢- الشعر الفارسي: كريما ، نام حق، بوستان سعدي، يوسف زليخا، قصائد عرفي، سكندر نامه وغيرها.(٤)

و تبدأ الدراسة في المدارس الدينية باللغة الفارسية، فيدرسون فيها الكتب القديمة المقررة في النثر والشعر ، ولا يقدر الطالب على الحديث والكتابة باللغة الفارسية و إنما يكفيه أن يفهم ما درسه. ثم ينتقلون إلى قواعد اللغة العربية إلا أنهم لا يطبقونها عملياً، فلا يقدر أحد منهم إلا ماشاء الله على أن يتحدث باللغة العربية أو يكتب بها، حتى ولو جملة واحدة. ثم ينتقلون إلى الآداب العربية فيدرسون " مقامات الحريري" و " ديوان الحماسة" و " المعلقات" وشيئاً من " ديوان المتنبي"، و يدرسون بعض الكتب من البلاغة والمعاني والبديع، كما أنهم يدرسون الكتب الفلسفية والمنطقية القيمة التي تقوم على منطق اليونان وفلسفتهم، ثم أنهم يدرسون العلوم الدينية من الفقه وأصوله، ومن التفسير

و أصوله، والحديث و أصوله، ما يؤهلهم ليفهموا الدين ، ويقوموا بدور رجال الدين.

وعندما نلقي نظرة على المناهج الدراسية في علم الصرف والنحو والبلاغة والأدب، نجد أنها كتب تقليدية ، لم تأخذ في اعتبارها نتائج الدراسات اللغوية الحديثة أو التقنية والتكنولوجيا التربوية المترتبة عليها. ومن حيث استخدام اللغة نرى أن اللغة المقدمة في كتب تعليم اللغات تمثل لب العملية التعليمية، واللغة العربية شأن معظم لغات العالم ذات مستويات مختلفة في استخدامها، فعلى المستوى الزماني والرأسي نجد مستويين رئيسين ، أولهما: لغة التراث ، وثانيهما: لغة الحياة المعاصرة، (مع الأخذ في الاعتبار أن الفرق بينهما لا يصل إلى حد اعتبار إحداهما غريبة على الأخرى) وقد تبين لنا من جدول المناهج أن الاتجاه الشائع في المنهج اعتماده على لغة التراث (Classical Arabic) الصعبة في مفرداتها و مصطلحاتها و تراكيبها و معانيها، ولا نجد كتاباً بالفصحى المعاصرة (Modern Standard) التي هي لغة الكتابة وأجهزة الإعلام والمحاضرات والأحاديث العامة واللقاء ات الرسمية والتعليم وغير ذلك من مجالات ثقافية و تربوية مختلفة.

و نرى من المناسب أن نذكر هنا أن لغة تدريس هذه المواد كلها هي اللغات المحلية وعلى رأسها الأردية والبنجابية، وقد علق الدكتور مير ولي خان على هذه المناهج قائلاً:

" إن النظام الدراسي الرائج في المدارس الأهلية في باكستان، نظام جيد للغاية ، حيث أنه مفيد جداً لتعليم اللغة العربية إذ يقوم الطالب فيه بالدراسة الحرة، و يبذل الجهود في أن يفهم اللغة العربية بمجهوده الخاص، أو بمساعدة قليلة من الأستاذ، حيث يقرأ الطالب الكتاب في هذا النظام أمام الأستاذ بينما الأستاذ

يـصحح له إذا أخطأ، وهذه هي الطريقة المتبعة في الغرب حالياً بتعديل بسيط جداً، غير أن هذا النظام تنقصه الممارسة في التكلم باللغة العربية ، والتمرين على الكتابة فـي الـموضوعات الإنشائية ، بجانب أن المناهج في تلك المدارس الأهلية عتيقة جـامـدة معقدة لاتـساعـد قطعاً الطالب على التقدم في اللغة العربية، بل تعرقله من السير الـطبيـعـي فـي تعلم هذه اللغة ، لأنها عقيمة تكسر رغبة الطالب والطالبة في الدراسة إلى جانب جمودها وعدم إفاديتها في تطوير اللغة العربية ".(٥)

وبـحكم هذه المناهج القديمة العقيمة قلما يظهر فيهم عالم أو أديب يقدر على القيادة المدينية والفكرية على نطاق شعب، ورغم ذلك فقد ظهر فيهم عدد من الـعـلـمـاء لهـم مـؤلـفات قيمة باللغة العربية والفارسية والأردية، كما أنه ظهر فيهم بـعض العلماء الذين كانوا يقدرون على اللغة العربية كتابة وحديثاً ، كما أن البعض مـنهـم قام بدورهام في فكر البلاد وسياستها، ومع أن هؤلاء العلماء أقبلوا على تعلم الـلـغة العربية بدافع ديني ولكن الناحية الدينية لم تصرفهم عن خدمة اللغة و آدابها من حيث اللغة والأدب، فقد مارسوا نشاطهم في مجال الأدب العربي شعراً و نثراً ، و أبـرزوا للناس دراسات أدبية قيمة تُعد مفخرة للمكتبة العربية، وتشهد لأصحابها بالبراعة والتفوق.

الصعوبات العامة

قـد مـضـى أكثـر مـن خمسين سنة على ظهور باكستان في خريطة العالم ، ولـكـن ، يـؤلمنا ويؤلم جميع المسلمين الصادقين في هذه المنطقة أن اللغة العربية لـم تُـخـدم كـمـا يـنبغي، ولم تأخذ مكانتها في هذه الدولة الإسلامية على الرغم من الـحـصـول عـلـى الاسـتـقـلال، والخلاص من براثن الاستعمار، ولم يكن لها وجود مـلـحـوظ طـوال هـذه الـمدة، ولم تزدهر، مع أنه كان من المتوقع لها أن تنتشر في البـلاد ، وبـالـرغم من التقدم الكبير الذي حققته الأمة الباكستانية في حقول التعليم

الأخرى من الطب والزراعة والصناعة والهندسة والمجالات الأخرى، فإنها تواجه صعوبات و مشاكل عديدة في تعليم اللغة العربية نلخصها هنا و نذكر البعض منها للفت أنظار المهتمين بالعربية و ندعو المسئولين في كل منها لتداركها و بالله التوفيق.

١- إن أهل باكستان قد تحرروا من استعمار الإنجليز على أساس الإسلام، وحصلوا على وطن مستقل لهم بجهدهم المستمر المتواصل، ولكنهم لم يحصلوا على الاستقلال الثقافي عن الإنجليز، وأن اللغة الانجليزية لغة إجبارية في باكستان حتى هذا الوقت ، ويجب على كل طالب أن يدرسها كمادة إجبارية إلى مرحلة البكالوريوس، وعلى خلافها اللغة العربية فهي مادة اختيارية في المرحلة الثانوية والبكالوريوس، وبالإضافة إلى ذلك فإنها لاتدرس في المدارس الإنجليزية النموذجية مطلقاً ، وكذلك لايمكن لطلاب العلوم أن يختاروا هذه المادة في المدارس والكليات.(٦)

٢- والمشكلة الثانية التي يجب ذكرها هنا هي أنه منذ ١٩٤٧م بعد استقلال جمهورية باكستان الإسلامية فإن اللغة الأردية واللغات المحلية الأخرى: البنجابية والسندية والبلوتشية والبشتوية، كلها بدأت ولا تزال تحارب اللغة العربية إلى جانب اللغة الإنجليزية، وذلك لأن اللغة الأردية مثل الإنجليزية قررت لغة إجبارية في المدارس والكليات، وأصبحت اللغات المحلية بديلة للعربية في المواد الاختيارية ، وذلك عندما يختار الطالب الباكستاني لغةً من زمرة اللغات غير الإجبارية فطبيعي عندئذ أن يفضّل لغته الأم على لغة أجنبية ، ولو كانت هي العربية.

٣- المشكلة الثالثة هي عدم توفر العمل للمتخرجين، فالطلاب يقضون معظم حياتهم في تعلم العلوم العربية و يحصلون على شهادات عالية كالماجستير، ثم لايجدون أي عمل لهم، فتخيب آمالهم، ويتأثر بهم الآخرون ، فيفضلون المواد الأخرى على اللغة العربية، ويرونها خير وسيلة للوصول إلى المراكز المهمة في الدوائر الحكومية.(٧)

٤- المشكلة الرابعة هي أن طرق تدريس اللغة العربية ليست حديثة ، والأساتذة لا يستخدمونها لتدريس اللغة العربية، ومن المعلوم أن تأهيل الأستاذ، وتمكنه من اللغة و تحضيره للدروس، كل ذلك له دور فعال و هام في تنمية اللغة عند الطلاب، وله صدى بعيد في تنشيط الطلاب للإقبال على تعليم اللغة العربية؛ لأن الطالب إذا فهم الدرس فبطبيعة الحال يجتهد في التعليم أكثر، وبالعكس إذا لم يفهم الدرس فإنه يبقى كسلاناً مهملاً، وتنقص عنده الرغبة في التعليم تدريجاً حتى أنه يترك أحياناً تعلم اللغة العربية نهائياً، ويبحث عن الانتساب في مادة أخرى غير العربية. وهذا ما يحدث فعلاً في الكليات والجامعات الباكستانية بكثرة، ويرجع سببه الأصلي إلى أن الأستاذ يثقل على الطلاب في أول محاضراته التي يلقيها عليهم، إذ يفاجئهم بكلمات غريبة ضخمة وعبارات غير مألوفة معقدة تنفر الطلاب من تعلم اللغة العربية في اليوم الأول. (٨)

و بالإضافة إلى ذلك نشاهد المناهج و المقررات التي أعدت لطلاب المدارس والكليات لا تساعد في عملية التعليم من حيث العرض المناسب الذي يجذب الدارسين إلى اللغة العربية أو الاستزاده منها أو تذوقها، لأنها لا تحتوي على سلسلة متكاملة تغطي جميع المراحل في تعليم اللغة العربية، ولا تحقق المستوى اللغوي المطلوب الذي يمكّن الدارس من الاعتماد على نفسه في قراءة الكتب العربية و فهمها و إجادة الحديث والكتابة باللغة العربية السليمة نطقاً و أداء. بل بالعكس من ذلك تساعد هذه المناهج في زرع النفور والكراهية في النفوس، لأنها تقدم اللغة العربية للطالب في دروس صعبة متلاحمة مع قواعد جافة مملة و عبارات ركيكة، ومن الأمثلة على ذلك ما قررته الوزارة الفيدرالية في مادة اللغة العربية و ترجمة القرآن الكريم في المدارس الثانوية والمتوسطة حيث يكثر في الكتب المقررة كثرة القواعد و حصر اللغة العربية في مادة القواعد فحسب مع

إهمال تام لمهارات اللغة من فهم المسموع والقراءة والتعبير الشفوي والكتابي.

الصعوبات التي تواجه معلمي اللغة العربية

إن أكبر الصعوبات التي تواجه معلمي اللغة العربية و أهمها هي مشكلة عدم الاعتراف بمكانتهم الاجتماعية ، وأن جميع المشاكل والصعوبات التي تواجه معلمي اللغة العربية وطلابها الباكستانيين ليست إلا نتيجة لهذه المشكلة، ولو لم تكن هذه لما كانت تلك، وتتلخص هذه المشكلة في النقاط الآتية:

١- على الرغم من القداسة والحرمة التي تتمتع بها اللغة العربية عند جميع أفراد الشعب الباكستاني، فهي لم تحظ- مع الأسف الشديد- بالصدارة التي تستحقها في النظام التربوي والإداري بباكستان، بل العكس أن الكلمة الأولى و الأخيرة في جميع الأوساط التعليمية والكتلات الإدارية في باكستان هي للغة الإنجليز الذي دخل هذه البلاد في زيّ تاجر، واحتلها، وحكم عليها أكثر من قرن من الزمان، وخلف فيها لغته الإنجليزية أداة غزو ثقافي ضد شعوب شبه القارة المضطهدة المغلوبة على أمرها، فإننا نرى اللغة العربية كذلك مضطهدة مغلوبة على أمرها كأصحابها المسلمين، حتى يومنا هذا في هذه الأمصار و البلاد، وأن الدرجات الوظيفية لمعلم اللغة العربية في المدارس الحكومية أقل من درجات معلم الإنجليزية و معلم العلوم، وليس هناك أمل في ترقيتهم على السلالم الوظيفية مثل ترقية معلمي اللغة الإنجليزية عليها.

٢- إن أصحاب الثقافة الإنجليزية يتمتعون بمناصب الدولة الإدارية والحساسة وأما أصحاب الثقافة العربية فأكبر منصب في حياتهم- وهذا يمكن لو كانوا من أصحاب الحظ الأكبر- هو منصب معلم اللغة العربية في المدارس الثانوية براتب لايكسي بدناً ولا يشبع بطناً.(٩)

وهناك مشكلة أخرى تواجه معلمي اللغة العربية وهي مشكلة الوسائل

التعليمية الحديثة، فإن المعلم أو الطالب لمادة اللغة العربية لا يزال يتبع الطرق والوسائل القديمة العقيمة، (١٠) والحقيقة العلمية أن الوسائل التعليمية المعاصرة لها دور فعال و متميز في تدريس اللغات و تكوين المهارات اللغوية أي الاستماع والنطق والقراءة والكتابة ، فالصور والرسوم والخرائط والبطاقات والصور الضوئية و بطاقات القراءة والأسئلة والأجوبة والمفردات والتسجيلات الصوتية وأفلام القراءة وجهاز العرض العلوي والحاسب الآلي كلها من الوسائل التي تقوم بإسهام كبير وتلعب دوراً فعالاً في عملية تعليم اللغات وتعلمها، ولكنه من المؤسف أن الطالب الباكستاني بشكل عام، وبسبب ظروفه الخاصة، لايتوفر له معظم هذه التسهيلات، ولذلک عدة أسباب منها:

١- إن ميزانية المؤسسات التعليمية في باكستان محدودة، فليست لديها إمكانية كافية لاشتراء تلک الوسائل.

٢- و إن معلمي اللغة العربية في المدارس بباكستان بشكل عام ليست عندهم معرفة ولو بسيطة عن استعمال هذه الوسائل.

وهناک مشكلات أخرى تواجه معلمي اللغة العربية في الجامعات الباكستانية بصورة خاصة ، ومنها أن الطلاب الذين يلتحقون بالجامعات في مرحلة الماجستير يكونون على مستويات مختلفة من معرفة اللغة العربية ، فمنهم من تخرجوا في المدارس الدينية الأهلية ، ودرسوا اللغة العربية و تعلموها مدة غير قصيرة، وألموا بجوانب كثيرة منها. ومنهم من يأتون من المدارس والكليات الحكومية ، وقد درسوا فيها اللغة العربية في المراحل المتوسطة فقط أو في المراحل الثانوية فقط. ومنهم من يلتحق بالأقسام العربية بالجامعات ولم يدرس العربية في حياته إلا في مرحلة البكالوريوس فقط. فعند ما يجتمع هؤلاء كلهم في فصل دراسي واحد، وهم على هذه المستويات المختلفة، وعلى المعلم الجامعي

أن يـدرسهـم مقرراً واحداً، فهل يمكن أن نتصور مشكلة المعلم الذي عليه أن يعلم هـؤلاء الـذيـن يـكـاد لا يـعرفون العربية ، كما عليه أن يدرس الذين ليس لهم إلمام بـألف بـاء العربية مع أولئـك الذين قد درسوها مدة طويلة، يدرسهم مقرراً واحداً، وعـليـه أيـضاً أن يكمل المقرر خلال السنة الدراسية المحددة، فإذا حاول أن يرفع هـؤلاء إلـى الـمستـوى الـعـالـي الـمـناسب للجامعة أو على الأقل حاول أن يقربهم بالمستوى الدراسي في الفصل ، يفوت عليه إتمام المقرر، ولو انصرف إلى تدريس الـمـقـرر و تـكميلها في الموعد الدراسي، اضطر إلى إهمال تعليم هؤلاء الضعاف، فـمـا أرضى ضميره ولا أدّى واجبه المهني، فيصبح غير قادر على أداء هذا ولا على تكميل ذلك.(١١)

الصعوبات التي تواجه دارسي اللغة العربية

مـن الـمـلـوم أن الـدارس الـذي يـقبل على تعلم لغة أجنبية يجد فيها بعض الظواهر اليسيرة السهلة بينما يجد بعضها الآخر في غاية الصعوبة والعسر، وذلك لأن الـلغة الأم تتداخل في قوانين اللغة الهدف في بعض الأحيان، ومن المعلوم أيضاً أن بـعـض قـوانيـن الـلغة الأم يماثل اللغة الهدف، غير أن كثيراً من قوانين اللغة الأم يـخـالف قـوانيـن اللغة الهدف، وقد يكون الاختلاف كلياً وهو أمر نادر، وقد يكون جـزئيـاً في بعض الصفات مما قد يخدع الدارس ، فيعمم قانون لغته الأم على قانون لغته الهدف دون انتباه إلى قيود اللغة الهدف في ذلك، فيعتقد الدارس بسبب هذا الـتـداخـل الـلـغـوي بين لغته الأم ولغته الثانية، أن الأخرى مقاربة للغته ، وسهلة في التعلم، بينما هي تتميز بالفروق الدقيقة التي تحتاج إلى تحليل دقيق وفحص عميق ، وكـذلك هـي حـال الـتـداخـل والـتـشـابــه بيـن الـلغة الأردية واللغة العربية، فإن كـلتيهـمـا متشـابهتـان إلـى درجـة كبيرة في الأبجديــة والمفردات والأصــوات ، فـالـطـالـب الباكستاني الناطق بالأردية يواجه صعوبات التشابه والتماثل عندما يبدأ

بتعلم اللغة العربية ، ونستطيع أن نقسم هذه الصعوبات إلى ثلاثة أنواع:

١- صعوبات في الأصوات

٢- صعوبات في القواعد

٣- صعوبات في المفردات

١ - صعوبات في الأصوات

إن الطالب الباكستاني حين تعلمه للغة العربية يتعرض لسماع أصوات لم يسبق له سماعها أو نطقها، و يواجه بألوان مختلفة من النبر والتنغيم والمقاطع التي لم يتعود عليها جهازه السمعي والصوتي، و تتركز المشكلة هنا في عدة مواضع، فهي تبدأ بخطأ في السمع عندما يتلقى جهاز السمع صوتاً غريباً لم يألفه من قبل، فيفسره بأقرب الأصوات إليه في اللغة الأم، فعلى سبيل المثال يوجد في اللغة العربية ثمانية و عشرون صامتاً، وهذه الصوامت كلها مستخدمة في اللغة الأردية ، وتشكل صعوبة و سهولة في نفس الوقت لناطق الأردية عند ما يتعلم اللغة العربية ، وذلك لأنه عندما يرى الدارس صوامت لغته الأم في اللغة الهدف يطبق نظام صوت لغته الأم على اللغة الهدف فينطق الكلمات بالأصوات التي توجد في اللغة الأم مع أنها تختلف اختلافاً واضحاً عما في نظامها الصوتي على الرغم من التشابه بينهما، فمثلاً : الأصوات /ث/ ص/ ذ/ ظ/ ط/ ح/ ع/ ق/ لايُوجد لها مماثل في اللغة الأردية ، أما من ناحية الرموز الكتابية فهى مثل العربية، فالطالب الباكستاني الناطق بالأردية ينطق هذه الأصوات على النحو التالي:

ث	>	س	ط	>	ت
ص	>	س	ح	>	هـ
ض	>	ز	ع	>	ء
ذ	>	ز	ق	>	ک
ظ	>	ز			

وهـذه الأصـوات العـربية نـاشئة بالتفخيم والترقيق، والتفخيم هو تعظيم الـصـوت فـي الـنـطـق حتـى يمتلئ الفم بصداه،(١٢) ولـو قـررنّـا بيـن نطق كلّ من الـصـوتيـن (ص س) في كلمتي (صادق و سالم) لتبيّن لنا كيف أن الصاد تملأ الفم بصداها بخلاف السين، و يرتفع معه مؤخر اللسان نحو الحنـك الأعلى، فإن وصل إلـى الـحـنـك الأعـلـى وانـطبـق عـليه سمي إطباقاً، وهذا يعني أن الإطباق جزء من التـفـخيـم، وليس كل المفخمات تصل إلى درجة الإطباق، وأصوات الإطباق هي: ص، ض، ط، ظ، وبـمـا أن مـؤخر اللسان يستعلي نحو الحنـك الأعلى فإن العرب يسـمـون التـفـخيـم استـعـلاء، والتـفخيم أعمّ من الاستعلاء، فكل استعلاء تفخيم ، وليـس العكس.(١٣) و هـكـذا نرى أن ظاهرة التفخيم والترقيق والإطباق لا توجد فـي الـلـغة الأردية، وعـنـدمـا تستـعمل اللغتان الأم والهدف أبجدية واحدة، ولكن بـوجـود فوارق صوتية كما هو الحال بين العربية والأردية ، فقد تنجم أخطاء نطقية بسبب الشبه بين الرموز الهجائية مع الاختلاف في النطق وذلك في حالات مثل:

وجـود رمـز كتـابـي واحـد يـعبّـر عـن صـوتين مختلفين في اللغتين فيميل الـدارس إلى نقل الصوت المعبّر عنه برمز في لغته الأم إلى اللغة الهدف مثل: الرمز [ض] فـي الـعـربية والأردية، حيـث إنه يمثل صوتين مختلفين في النطق في كل لغة عـلـى حدة. فهو في العربية: صوت انفجاري مجهور، كما في (رمضان)، ولكنه في الأردية صوت احتكاكي مجهور، كما في (رمزان)(١٤).

فهـذه المشكلات ليست مشكلات نطقية، بل هي في واقع الأمر مشكلات سببهـا التهـجـئة، فـالـنـاطـق بـالأردية يـخطئ كثيراً في أداء الأصوات العربية التسعة المذكورة أعلاه بسبب عدم الممارسة على هذه الأصوات تفخيماً وإطباقاً و ترقيقاً أو عدم وجودها في لغته الأم، فهو لايفرق مثلاً بين المفردات التالية عند النطق:

ثار	سار		صمت	سمت		طاب	تاب
عثر	عسر		فصد	فسد		مطر	متر

غيث	غيس		قص	قس		شط	شت
عمل	أمل		حان	هان		ظهر	زهر
وعد	وأد		سحر	سهر		عظم	عزم
شاع	شاء		شبح	شبه		فظع	فزع
ضل	زل		ذل	زل		قفل	كفل
رضع	رزع		عذل	عزل		رقد	ركد
فرض	فرز		عاذ	عاز		شق	شک

و يواجه الدارس الباكستاني في نطق/ء/نفس الصعوبة، ففي نطق/ء/ العربية ينطبق الوتران انطباقا تاماً ، فلا يحصل مرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق ، ومن ثم ينقطع النفس، ثم ينفرج هذا الوتران، فيخرج صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء الذي كان محبوساً في حالة الانطباق التام، وهذا الصوت هو همزة القطع ، فهمزة القطع العربية إذن صوت صامت حنجري انفجاري لاهو بالمهموس ولا بالمجهور. (١٥) أما الهمزة في الأردية فمعظم الباحثين لا يعدّونها في هجاء الأردية، ولذلک لا نجدها في القواميس الأردية كحرف مستقل ، يقول المولوي عبدالحق في كتابه " القواعد الأردية":

" عدّ الهمزة في هجاء الأردية خطأ، الهمزة تقوم بدورها مع الياء والواو مثلما تقوم المدّة بدورها بالألف أو الواو أي تمدّد صوت الياء والواو مثلاً:

" كئي" ، " تئين"، " كهاؤں"(١٦).

وكذلک يقول الباحث فرمان فتحبوري عن الهمزة في الأردية :

" الهمزة خاصة بالعربية ، وتأتي كحرف مستقل في بداية اللفظ و وسطه

و آخره مثل:" أمر" و " سائل" و " سوء" و " ابتداء " ، أما في الأردية والفارسية فالهمزة لا تستخدم كحرف أصلي في اللفظ ، ولذلك تكتب و تنطق المفردات المستعارة من العربية بدون الهمزة". (١٧)

فالمدارس الباكستاني لا يتعود على أداء الهمزة العربية فيتلفظ في مثل هذه الكلمات تلفظاً خاطئاً تحت التأثر بلغته الأم، فينطق القارئ > القاري والدعاء > الدعا، والدواء> الدوا، والمسئلة > المسلة.

أما /ق/ فمعظم ناطقي الأردية لا يحسنون أداء ها، فينطقونها /ک/فيجعلون القلب > الكلب، والقائل > الكايل، ويقول الباحث شرف الدين الإصلاحي بهذا الصدد:

" القاف صوت عربي صرف، اختاره الهند تحت تأثير اللغة العربية ، ونطقه معروف في البيوت التي تهتم بقراءة القرآن"(١٨).

وأما فيما يتغلق بالاجتناب عن التداخل الصوتي والتغلب على المشكل النطقي التعليمي فمن المعلوم أن الإنسان يولد وجهاز نطقه قادر على أيّ صوت، وفي أيّ نظام لغوي، كائن ما كان، وثمة في جهاز نطقه عدد معين من العضلات، والتي لكل منها عمل معين، على أنها تتحرک دفعة واحدة، في تناسب و توافق بعضها مع بعضها الآخر، بما يؤدي في النهاية إلى نطق الصوت المراد نطقه ، وفي العادة أن يبدأ الإنسان منذ مرحلة الطفولة بترويض جهازه على وضعية من الحركات بعينها، وهي الوضعية اللازمة لإنتاج الأصوات في لغته الأم، فيشبّ وقد اكتسب ملكته في النطق بنحو ما تدرّب عليه منذ الصغر، وفي ضوء هذا الوضع يكون طبيعياً أن يواجه المرء مشكلة نطقية عندما أراد أن ينطق أصواتاً لا عهد له بها في لغته الأم ، وإزاء هذا المشكل النطقي ، وقد يقال " التعليمي" يكون المرء مضطراً إلى إحلال أصوات اللغة الأم في اللغة الهدف.

ولكن هذا العيب ليس من العيوب التي لا تعالج كالخرس والحبسة ، وبإمكان علم الأصوات العلاجي أن يقدم للدارس تدريبات معينة ، فتعينه على التحكم في حركات لسانه ، في أوضاع مختلفة داخل الفم و خارجه ، حتى يصل به إلى الغاية المنشودة أو قريب منها .

و يجب على معلم العربية أن يتغلب على هذه المشكلة بتدريب الدارسين على التمييز بين الأصوات بطريقة الثنائيات الصغرى، وذلك مثلاً بعرض الصوت المطلوب في مجموعات زوجية متقابلة، تشتمل إحداهما على الصوت الجديد والأخرى على أقرب الأصوات شبهاً بذلك الصوت الذي يجنح الدارس إلى الخلط به ، فمثلاً يتلو المعلم الأزواج المتشابهة من الكلمات ويسأل الطلاب عما إذا كان الذي يتلوه هو نفس الشيء أو أنه مختلف ؟ فإذا كان يدرس /ص /فيقول: صام–سام، ويسأل عما إذا كان هناك فرق بين الكلمتين، أم لا؟ أو يقرأ: صام–صام، ويسأل نفس السؤال ، وهكذا يقرأ المعلم الكلمة ويحاكي الطلاب حسب ما يسمعون ، ويكرر التمرين حتى يتأكد من قدرة الطلاب على التمييز بين /س /و /ص/ .

٢ – صعوبات في القواعد

من المعروف أن اللغة الأردية تنتمي إلى الأسرة الهندية الآرية للغات ، بينما اللغة العربية من الأسرة السامية، فلا تتشابه الأردية والعربية في تركيب الجمل و ترتيب الكلمات وفي التراكيب النحوية والصرفية، فإن اللغة الأردية معظم أفعالها و ضمائرها و حروفها هندية الأصل، واللغة العربية لغة اشتقاقية متصفة بنظام المادة والمصادر والمشتقات . ولكن على الرغم من هذا التباعد البيّن فقد دخل كثير من التراكيب النحوية والصرفية العربية والأساليب العربية للتحيّة والتهاني والتعازي في اللغة الأردية وكذلك قد أخذت الأردية من العربية كثيراً من مصادر الثلاثي المجرد والمزيد فيه، والرباعي المجرد والمزيد فيه، وأصبحت

جزءاً لا ينفك منها كما أشار إلى ذلك المولوي عبدالحق قائلاً:

" توسعت الأردية بسبب العربية والفارسية من ناحية اللغة والنحو، فاز داد جمالها و بهاؤها، وتضاعفت صلاحيتها في الاتصال اللغوي".(١٩)

أما الصعوبات التشابهية في القواعد فيوجد في الطالب الباكستاني اتجاه نقل البنية النحوية من لغته الأم إلى اللغة العربية ، فهو ينقل صيغ الجملة و أنماط العدد والجنس والحالات الإعرابية، وهذا يحدث بطريقة لا شعورية ، فمثلا في اللغة الأردية تسبق الصفة الموصوف، والمضاف إليه يأتي قبل المضاف، فالدارس عند تعلّم اللغة العربية يخطئ في تكوين مثل هذه التراكيب بقياسه الخاطئ على لغته الأم، فيسبق النعت المنعوت ويقول: كبيرة جامعة. صالح رجل . مجتهدة طالبة. وما إلى ذلك . وكذلك قديقدم المضاف إليه على المضاف ، ويقول: زيد كتاب . الحكومة مدرسة. الرجل بيت.

ويمكن أن يخطئ أيضاً في العدد والجنس والتعريف: لأن الصفة في اللغة العربية تتغير تبعاً للعدد والجنس والتعريف والحالة الإعرابية خلافاً للأردية ، فيقول مثلاً: جاء الطلاب المجتهد أو رأيت اثنان رجلاً. وقديخطئ الدارس في التذكير والتأنيث، فكثير من الأسماء المذكرة في اللغة العربية تؤنث في الأردية مثلاً: كتاب ، سرير، كرسي ، فيقول: هذه كتاب، وهذه سرير ، وهذه كرسي، و يخطئ في استخدام الصلات كثيراً جداً ، ففي الأردية تأتي صلة " على" مع كلمات: ظلم و رحم و ركب و آمن و قنع و وثق ووصل ، فيقيس الدارس عليها ويقول في العربية : ظلمت علينا، أو ارحم علينا، أو ركبت على الحافلة ، وكذلك يقول: آمنت على الله ، ولا تقنع على الأدنى، ووثقت عليه ، ووصل القطار على المحطة، وكذلك تأتي صلة "مِن" في الأردية مع كلمات: خاف و دعا و كره وسمع واتقى، فينقل هذه الصلات من لغته الأم إلى اللغة العربية ويقول : خاف من

الحيّة ، ودعا من الله دعاءً ، و آكره من الكذب ، وسمعت منه ، واتقوا من الله وغيرها.

ويـمـكـن أن يـخـطئ في تركيب الجمل الفعلية، لأن تركيب اللغة العربية عـلـى الـعـكـس تـمـامـاً من التركيب الأردي، ففي الأردية يأتي الفاعل ثم المفعول والفعل، فيقول الدارس خاطئاً: زيد كتاباً قرأ، وعلي طعاماً آكل.

٣- صعوبات في المفردات

تـنـتج السهولة أو الصعوبة عن التشابه والاختلاف في المفردات من حيث الشـكـل والمعنى بين اللغتين: الأردية والعربية فنجد تدخل اللغة العربية في الأردة فـي حقل المفردات بنسبة مرتفعة جداً ، فيبلغ عدد المفردات العربية في الأردية ما يـقـارب أربـعـين إلى سبعين في المئة، وهذه الظاهرة تجلب السهولة والصعوبة في نفس الوقت. ويمكن لنا أن نقسم المفردات العربية في الأردية إلى نوعين:

أ- المفردات التي وردت في الأردية فتغيرت صيغتها، فلبست لباس اللغة الـجـديـدة، وانصبغت في قالبها، مثل كلمات: ليكن، طمانيت، تميز ، تمنا، تماشا، ورا، التي كانت في الأصل: لكن، طمانينة، تمييز ، تمنى، تماشى، وراء.

ب- الـمـفـردات الـعـربية التي دخلت إلى الأردية ولم يحدث فيها تغيير لـفـظـي أو إمـلائـي، فتستخـدم بـنفس الشكل الذي في العربية ، وقد سمّاها بعض الباحثين الكلمات المستعارة (٢٠)، ولها نوعان من ناحية المعنى:

١- الـمـفـردات الـمتشـابهة فـي الشـكـل والـمعنى، و توجد في الأردية والـلـغـات الـمـحلية الباكستانية الأخرى مئات، بل آلاف من الكلمات والعبارات الـعـربية التـي ظـلـت ولا تـزال بـاقية على شكلها و نطقها الأصليين ، ومن أشهرها وأكثرهـا تـداولاً كـلـمة "بـالـكـل" التي تستعمل للتأكيد أو لما يرادف الكلمات الـعـربية مثل: تـمـامـاً ، قـطّ ، قـطـعـاً ، كـليـاً. وكذلك من الكلمات العربية كـلـمة"وغيره" فهي تستخدم بالمعنى نفسه في اللغة الأردية . وكلمة " على حدة"

التي تكتب بالأردية "عليحده" وصلاً . لا تزال باقية على صيغتها الأصلية في اللغة الأردية بدون تغيير في المعنى. وأيضاً من الكلمات العربية "ماحول" الشائعة الاستعمال في الأردية، وتستعمل بمعني الجو السائد أو المحيط.

٢- المفردات التي تتشابه في الأشكال وتختلف في المعاني وهي التي تشكل صعوبة على درجة عالية جداً، ومنها مثلاً كلمة: " اتفاقية" تشترك بين اللغتين إملاءً و كتابةً ولكنها تدل على معنيين مختلفين تماماً، فبالعربية معناها: معاهدة، وبالأردية معناها: فجأة وصدفة، وكلمة " عمدة" في العربية تعني: رئيس القرية، وفي الأردية: جيد وطيب. وكلمة : " محنت" في العربية تعني: بلاء، وفي الأردية: مشقة وجهد، وكلمة: "غريب" في العربية تعني: أجنبي، وفي الأردية: فقير، وكلمة "دفتر" في العربية تعني سجل ، وفي الأردية: مكتب ، وكلمة "هجوم" في العربية تعني: حملة ، حمل علي ، وفي الأردية: ازدحام. وما إلى ذلك من المفردات الكثيرة التي تشكل صعوبة على الدارس الباكستاني للغة العربية بسبب التشابه شكلاً والاختلاف معنىً.

خلاصة البحث

قد أسفر هذا البحث عن تعليم اللغة العربية في باكستان وبيان مشكلاته وتقديم بعض الحلول لها ومما تقدم نصل إلى النتائج التالية:

١- منذ سيطرة الاستعمار على هذه البلاد ، قد عرف فيها نظامان للدراسة ، الأول: حكومي ، والثاني، أهلي، ولا تزال هذه الازدواجية باقية إلى الآن في باكستان . أما النظام التعليمي الحكومي فهو يتبع النظم التعليمية البريطانية ، فيبدأ الطالب بالمرحلة الابتدائية ، ثم المتوسطة ، ثم الثانوية، ثم الثانوية العالية، ثم التخرج، ثم الماجستير ، ثم ايم. فل، ثم الدكتوراه، ويقدم هذا النظام المدارس والكليات و الجامعات، أما تعليم اللغة العربية في هذا النظام فيبدأ من الصف السادس،

و تُدرس اللغة العربية كمادة إجبارية في الصف السادس و السابع و الثامن فقط، أما بقية الصفوف الدراسية من الثانوية إلى البكالوريوس فتدرس فيها كمادة اختيارية يختارها الطالب من بين ثلاثين مادة اختيارية.

و أما الجامعات الباكستانية فيوجد فيها أقسام مستقلة لتعليم اللغة العربية وآدابها في مرحلة الماجستير والدكتوراه ، غير أن هذا النظام من المدارس والكليات والجامعات الحكومية، لايوجد تنسيق شامل بين مناهجه الدراسية في المستويات المختلفه، فهى لا تخلو من نقائص عديدة، والمستوى العلمي للطالب الجامعي ضعيف و رديء للغاية ، ولذلك أسباب عديدة قد أسفر هذا البحث عن بعضها بالتفصيل.

و أما النظام الأهلي فينقسم إلى المدارس الدينية الأهلية والجمعيات والهيئات الأهلية ، ونعني بالمدارس الدينية، المدارس التي تنظم دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية على المستوي الأهلي ، والإنفاق عليها يتم من قبل المسلمين، وهذه المدارس عبارة عن الكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد في القرى والمدن في جميع أقاليم البلاد، ويشرف عليها رجال الدين. وإن هذه المدارس مظهر بارزمن مظاهر عناية المسلمين باللغة العربية والعلوم الإسلامية في هذه البلاد، غير أن هذا النظام تنقصه الممارسة في التكلم باللغة العربية والتمرين على الكتابة والإنشاء بجانب أن المناهج في هذه المدارس الدينية الأهلية عتيقة جامدة معقدة ، لاتساعد الطالب كثيراً على التقدم في اللغة العربية ، بل تكسر رغبته في الدراسة إلى جانب جمودها و عدم إفاديتها في تطوير اللغة العربية.

٢- و توجد مشاكل و صعوبات متنوعة و كثيرة في سبيل تعليم اللغة العربية في باكستان، منها صعوبات تعم المعلمين والدارسين والمهتمين باللغة العربية على السواء ، ومنها ما يواجه معلمي اللغة العربية ، ومنها ما يواجه دارسي اللغة العربية على الخصوص.

وأخيراً وفي نهاية المطاف وخاتمة البحث ، وفي ضوء ما تقدم من بيان المشاكل و الصعوبات القائمة في سبيل تعليم اللغة العربية في باكستان ، أودّ أن أتقدم ببعض المقترحات والتوصيات فيما يتصل بمعالجة تلك المشاكل والصعوبات و تداركها، ويمكن لنا أن نقسم هذه الاقتراحات والتوصيات إلى نوعين: منها ما يتعلق بالحكومة الباكستانية:

١- يجب اتخاذ الخطوات التنفيذية نحو تطبيق السياسة التعليمية الجديدة في باكستان لجعل اللغة العربية مادة إلزامية حتى الصف الثاني عشر، وتكوين لجنة فنية على مستوى رفيع لمراجعة مناهج تعليم اللغة العربية وإعداد الكتب والمواد التعليمية ، والاستعانة في ذلك بالخبراء المواطنين والعرب.

٢- يجب أن يكون عدد أساتذة العربية مثل عددهم بالإنجليزية والأردية في جميع المدارس والكليات.

٣- يجب أن تكون اللغة العربية مادة إجبارية كاللغة الإنجليزية والأردية في كافة امتحانات المنافسة للوظائف المركزية والإقليمية الإدارية ، وكذلك في امتحانات الضباط في النظام العسكري الباكستاني.

٤- يجب تزويد جميع المعاهد التعليمية التي تقوم بتدريس اللغة العربية بكافة التسهيلات والوسائل الحديثة، وعلى رأسها الكتب و مختبرات اللغة والوسائل السمعبصرية.

٥- دعوة الدول العربية والجامعات والمعاهد و المراكز المتخصصة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لمساعدة الجامعات الباكستانية بإيفاد أساتذة اللغة العربية للتدريس والإشراف على البحوث العليمة في الدراسات العليا، والمعاونة في تدريب المعلمين، وتخصيص منح دراسية ، وتبادل الوفود والزيارات بين الجامعات الباكستانية وجامعات الدول العربية.

ومنها ما يتعلق بالحكومات العربية:

١- لا بد من الكتب لتدريس أية مادة تدريساً حقيقياً صحيحاً ، ولا شك أن كتب اللغة العربية في باكستان يتكون جلّها من محتوى ليست لها علاقة مع الحياة اليومية واللغة الوظيفية ، فضلاً عن أن هذه المادة تكون مطبوعة على أوراق رديئة بخط رديء يضر البصر والذوق و بدون الصور والرسوم الملونة اللازمة، وبدون مراعاة التدرج والتكامل والتخطيط المنهجي عند تأليف تلك الكتب ، والترتيب التربوي في دروسها في المراحل الثلاث في تعليم اللغة العربية ، وهي: المرحلة المبتدئة ، والمتوسطة، والمتقدمة . فيجب على مؤسسات النشر و التوزيع العربية والهيئات الحكومية المهتمة بنشر الكتب العربية في البلاد العربية الشقيقة أن تزود المعاهد التعليمية الباكستانية بكل ما يمكن من المطبوعات والكتب المدرسية والمناهج التعليمية.

٢- إن الجامعات السعودية، وعلى رأسها جامعة الملك سعود، و جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة و جامعة أم القرى بمكة المركمة تعطي المنح المالية السخية للطلاب الباكستانيين للدراسة في هذه الجامعات و تقوية اللغة ، وقد تخرجت دفعات عديدة من هذه الجامعات السعودية، ولكننا لا نراها في باكستان تقوم بدورها في خدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية على المستوى القومي والرسمي، ولعل السبب في ذلك أن معظم الطلاب الباكستانيين الذين يلتحقون بهذه الجامعات، هم ينتمون إلى المدارس الدينية الأهلية ، علماً بأن شهادات هذه المدارس غير معترف بها رسمياً في باكستان، وقد اعترفت الحكومة "بالشهادة العالمية في العلوم العربية والإسلامية " فقط التي تصدر من قبل المجلس التلعيمي المسجل للمدارس الدينية، والتي يحصل عليها الطالب بعد دراسة ثماني سنوات في هذه المدارس ،

وبعد الدخول في امتحان المجلس العام، ويسمي هذا المجلس "بوفاق المدارس".

ومعظم هؤلاء الطلاب عندما يرجعون- ولا يرجع معظمهم- إلى بلادهم بعد تكميل الدراسة في الجامعات السعودية، لايجدون لهم مجالات في الوظائف الحكومية بسبب النقص في شهاداتهم ، وكذلك بسبب تجاوزهم الحد الأقصى للعمر الذي هو شرط أساسي في الوظائف الحكومية ، وبسبب عدم معرفتهم بالإنجليزية التي هي مادة إجبارية في جميع المستويات التعليمية في باكستان، فهم يشتغلون بالتجارة والأعمال الأخرى للحصول على أسباب الرزق ، ولا يجدون مجالاً لخدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، فهكذا يضيع عليهم ما تنفق هذه الجامعات من مبالغ ضخمة.

أما طلاب الكليات والجامعات الحكومية الذين يتولون بعد التخرج المناصب الحكومية من مدراء التعليم إلى وكلاء الوزارة ، ومن معلم اللغة العربية في المدارس الحكومية إلى أستاذ في الكليات والجامعات الحكومية ، فهم محرومون من الاستفادة من مناهل العروبة هذه ، ولا نعرف أسباب هذا الحرمان و عدم إتاحة الفرصة لهم، في حين إنهم أحق بكثير من طلاب المدارس الدينية الأهلية، لأنهم لا يجدون فرصاً كثيرة لدراسة الثقافة والعقيدة الإسلامية الغراء في الكليات والجامعات الحكومية ، فتبقى ألواح أذهانهم صافية خالية، تتأثر بكل ما يلقى إليها من الخرافات والضلالات في الحياة العملية ، وأما طلاب المدارس الدينية الأهلية فهم يدرسون الكثير من هذه المواد ، فلذا نرى أنه لابدّ من تقديم منح كافية لطلاب اللغة العربية الممتازين في الكليات والجامعات الحكومية، وذلك لأن هؤلاء الطلاب عندما يرجعون إلى بلادهم بعد الارتواء من مناهل العروبة والثقافة الإسلامية العذبة ، لايواجهون البطالة والتعطل وعدم فرص العمل،

بل يصبحون موظفين كباراً و أولي الأمر في مصلحة التعليم والتربية والدوائر الحكومية الأخرى، فيكون لتعليم اللغة العربية والثقافية الإسلامية وانتشارهما شأن آخر بسبب هؤلاء المحبين لهما والمهتمين بهما.

٣- رغم عدم التسهيلات لتدريس اللغة العربية في باكستان فإنه يوجد إقبال ملح في قلب كل باكستاني مسلم على اللغة العربية ، وأن كل أسرة و والد و والدة تتمنى أن يدرس ابنها وابنتها اللغة العربية ويتقنها ، إذن فمن رأينا أن ينشأ معهد للغة العربية في باكستان، يشرف على أربع مدارس نموذجية خاصة على أحدث الطراز و أرقاه، تبدأ بتدريس اللغة العربية من المرحلة الابتدائية ، ويمكن أن تهتم بذلك المملكة العربية السعودية، علماً بأنها تمدّ البلاد الشقيقة في كل مكان وزمان، كما أنه ليس غريباً وبدعاً و نحن نرى الجاليات الأجنبية في باكستان وغيرها تنشئ معاهد و مدارس متعددة كمدارس الإرساليات البريطانية والأمريكية والفرنسية والإيطالية. و أن تكون هذه المدارس الأربعة موزعّة بين لاهور، عاصمة إقليم بنجاب، و كراتشي عاصمة إقليم السند، و بشاور عاصمة إقليم سرحد، و كوئته عاصمة إقليم بلوجستان، و أن ترعاها الجامعات السعودية ، و تحترم شهاداتها ، و تجعل لها امتيازاً بحيث لا يقبل في معاهد اللغة العربية بالمملكة من طلاب باكستان إلا من كان حائزاً لشهادة من إحدى هذه المدارس، على أن يتسع نظام التعليم هذا في باكستان بعد ذلك، فتنشأ مدارس ثانوية هناك، يؤخذ المتخرجون فيها للدراسات العليا في كليات الجامعات السعودية.

أما معهد اللغة المقترح فبالإضافة إلى الإشراف على المدارس النموذجية، فإنه يقوم بتدريب المعلمين المكلفين بتعليم اللغة العربية في باكستان، ويجب أن يكون الأساتذة جميعهم من العرب المؤهلين لتحمل المسؤولية ، ويتم التدريب في جوّ عربي خالص، و بذلك نتمكن من إعداد عدد أكبر من المعلمين

بدل أن نرسل عدداً قليلا إلى الجامعات العربية ، حيث لا يجد الطالب الأجنبي جوًا عـربيـاً للفصحى التي لا توجد إلا داخل الفصل الدراسي في الجامعات العربية. ولا شک إن هـذا مـن شـأنــه أن يثـمـر ثـمـرات طيبة و يـقضي على كل ألوان الضعف والرداءة التي نشاهدها في تعليم اللغة العربية في باكستان.

وبالله التوفيق ، وهو نعم المولى و نعم النصير.

☆☆☆☆☆

هوامش

١- الإمـام الشـافـعـي، الرسالة ، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر، مصر ١٣٥٧هـ، ص٤٨، فقرة١٦٧

٢- بهـجـت، مـجـاهـد مـصـطفى الدكتور، "الروح الإسلامية في تعليم العربية لغير الـنـاطـقـيـن بهـا"، السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، جامعة الرياض، ١٩٨٠م

٣- خـان، ميـر ولـي، الـدكتور، "كيف يمكن للطالب الباكستاني أن يتقن اللغة العربية فهماً ونطقاً وكتابة" مجلة المجمع العربي الباكستاني، ع١،ج١، ١٩٩١م، ص ١٠

٤- خـان، يوسف حسين "نظام التعليم في الهند خلال العصور الوسطى" مجلة ثقافة الهند، ع٤، ج١٢، ١٩٦١م، ص٧٨،٧٩

٥- خـان، ميـر ولـي، الـدكتور، "كيف يمكن للطالب الباكستاني أن يتقن اللغة العربية فهماً ونطقاً وكتابة" مجلة المجمع العربي الباكستاني، ع١،ج١، ١٩٩١م، ص ١٠.

٦- جشتـي، غـلام حيدر– "اللغة العربية في باكستان" ، المجلة العربية ، ع٩،س٢، ١٩٧٨م، ص ٥٤

٧- النقوي، محمد حسنين– "مشكلات تعليم اللغة العربية للباكستانين ، خاصة في المرحلة الجامعية" ، الدراسات الإسلامية، ع٢، المجلد٢٤،١٩٨٩م، ص ٦٦

٨- خان، مير ولي- "كيف يمكن للطالب الباكستاني أن يتقن اللغة العربة فهماً و نطقاً و كتابة". مجلة المجمع العربي الباكستاني، ع ١، المجد١، ١٩٩١م، ص ١٤

٩- النقوي، محمد حسنين-" مشكلات تعليم اللغة العربية للباكستانيين، خاصة في المرحلة الجامعية " الدراسات الإسلامية، ع٢، المجلد ٢٤، ١٩٨٩م، ص ٦٧

١٠- أظهر ، ظهور أحمد- "تقرير عن أوضاع الثقافة الإسلامية واللغةالعربية في باكستان"، مجلة المجمع العربي الباكستاني، ع ١، المجلد ١، ١٩٩١م، ص ٢٦

١١- من تجاربي الذاتية في التدريس بقسم اللغة العربية بجامعة بنجاب بلاهور ، باكستان.

١٢- عمر أحمد مختار- دراسة الصوت اللغوي' القاهرة، عالم الكتب، ١٣٩٦هـ، ص٢٨

١٣- بشر ، كمال- علم اللغة العام، مصر، دار المعارف، ١٩٨٥م ، ص٨٨ و عمر، أحمد مختار- دراسة الصوت اللغوي ، ص٢٨

١٤- صيني ، محمود إسماعيل (الدكتور) والأمين ، إسحاق محمد: التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٩٨٢م، ص ٣

١٥- بشر ، كمال- علم اللغة العام، ص٨٨

١٦- عبدالحق، المولوي - قواعد أردو، لاهور (باكستان) بدون التاريخ، ص ٣٣

١٧- فتحپوري، فرمان- أردو إملاءو رسم الخط، كراتشي، جامعة كراتشي (بدون التاريخ) ، ص٢٢

١٨- إصلاحي، شرف الدين- روابط السندية والأردية، لاهور، نيشنل بک فاؤنديشن، ١٩٧٦م، ص ١٥٦

١٩- عبدالحق، المولوي- قواعد أردو، ص٩

٢٠- إحسان الحق، الحافظ الدكتور- " جوانب من صعوبة التشابه والاختلاف بين اللغتين العربية والأردية" الدراسات الإسلامية ، إسلام آباد، ع ١، المجلد ٢٣، ١٩٨٨م، ص ٧٠

فهرس المراجع

١- إبـراهيـم، سـمير عبدالحميد- اللغة العربية و قضية التمنية اللغوية في باكستان، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢- ابن الأثير، عزالدين، أبو الحسن علي بن محمد-

١- الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٨٢م.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت(بدون التاريخ)

٣- إحسـان الـحق، الحافظ الدكتور - " جوانب من صعوبة التشابه والاختلاف بين الـلـغتيـن العربية والأردية" الدراسات الإسلامية، إسلام آباد، ع١، الـمجلد٢٣، ١٩٨٨م، ص٧٩-٧٢.

٤- أحـمـد، جـميـل- حـركة التـاليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي في الـقـرنيـن الثـامـن عشـر والتـاسـع عشـر، سـلسـلة مـنشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان(بدون التاريخ).

٥- أحمد، زبيد- الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ترجمة عبدالمقصود محمد شلقامي، دار الحرية، بغداد، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦- الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (٣٤٦هـ)- المسالك والممالك، تحقيق: الحيني، محمد جابر عبدالعال، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م.

☆☆☆